سلسلة قصص في الأخلاق

قصصٌ في الكرم

إعداد

مصطفى أحمد علي

obeikandl.com

obeikandl.com

قَصَصٌ فِي الكَرَمِ

أَكْرَمُ العَرَبِ

كَانَ للأصْمَعِيِّ صَدِيقٌ كَرِيمٌ، اعْتَادَ الأصْمَعِيُّ أنْ يَزُورَهُ كَثِيراً، ويَأخُذَ مِنْ هَدَايَاهُ وعَطَايَاهُ. وذَاتَ مَرَّةٍ، ذَهَبَ إليه كَعَادَتِهِ، فَمَنَعَهُ الحَاجِبُ مِنَ الدُّخُولِ. فَغَضِبَ الأصْمَعِيُّ وكَتَبَ فِي وَرَقَةٍ:

إذَا كَانَ الكَرِيمُ لَهُ حِجَابٌ فَمَا فَضْلُ الكَرِيمِ علَى اللَّئِيمِ

ثُمَّ أَعْطَى الوَرَقَةَ لِلْحَاجِبِ لِيُعْطِيَهَا لِصَدِيْقِهِ، فَأَخَذَهَا الحَاجِبُ، ودَخَلَ للرَّجُلِ. وبَعْدَ لَحَظَاتٍ.. عَادَ الحَاجِبُ، وأَعَادَ الوَرَقَةَ لِلأَصْمَعِيِّ، ومَعَهَا كِيْسٌ فِيهِ خَمسُمِئَةِ دِينَارٍ، فَلَمَّا نَظَرَ الأَصْمَعِيُّ فِي الوَرَقَةِ، وَجَدَ على ظَهْرِهَا:

إذَا كَانَ الكَرِيْمُ قَلِيلَ مَالٍ تَحَجَّبَ بِالحِجَابِ عَنِ الغَرِيْمِ

فَتَعَجَّبَ الأَصْمَعِيُّ مِنْ كَرَمِ الرَّجُلِ؛ رَغْمَ ظُرُوفِهِ الصَّعْبَةِ.

وذَهَبَ الأصْمَعِيُّ إلى الخَلِيفَةِ المَأمُونِ، وحَكَى لَهُ الْقِصَّةَ، وَأَرَاهُ الوَرَقَةَ وَالكِيْسَ، فَتَعَجَّبَ الْمَأمُونُ، وَنَادَى أَحَدَ رِجَالِهِ، وقَالَ لَهُ: اذْهَبْ مَعَ الأَصْمَعِيِّ إِلَى صَدِيقِهِ، وأَحْضِرْهُ لِيْ مِنْ غَيرِ أَنْ تُزْعِجَهُ. فَلَمَّا أَحْضَرُوا الرَّجُلَ إِلَى الْمَأمُونِ، سَأَلَهُ وَهُوَ فِي عَجَبٍ شَدِيدٍ: أَلَمْ تَأتِنَا بِالأَمْسِ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ.

فَقَالَ المأمُونُ: أَلَمْ تَشْكُ حَالَكَ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ.

قَالَ المَأمُونُ: وعِنْدَمَا سَـأَلَكَ الأَصْـمَعِيُّ بِبَيْـتٍ واحِـدٍ مِـنَ الشِّـعْرِ أَعْطَيتَهُ الكِيْسَ؟!!

فَقَالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤمِنِينَ، وَاللَّهِ مَا كَـذَبْتُ فِيْمَـا شَـكَوْتُ لَكَ، ولَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ مِنَ اللَّهِ تَعَالى أَنْ أُعِيْدَ قَاصِـدِيْ إِلاَّ كَمَـا أَعَـادَنِي أَمِيرُ الْمُؤمِنِينَ (يَقْصِدُ أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ كَرِيْمًا مِثْلَ أَمِيرِ الْمُؤمِنِينَ).

فَقَالَ لَهُ الْمَأمُونُ وَهُوَ فَخُورٌ بِهِ: مَا وَلَدَتِ العَرَبُ أَكْرَمَ مِنْكَ.

ثُمَّ أَكْرَمَهُ الْمَأمُونُ، وأَعْطَاهُ الكَثِيرَ مِنَ الْمَالِ.

تِجَارَةٌ رَابِحَةٌ

كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ــ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـه ـ تَـاجِراً، وكَانَـتْ تِجَارَتُهُ كَبِيرَةً ورَابِحَةً، وكَانَ يَمْتَلِكُ ثَرْوَةً ضَخْمَةً.

وعِنْدَمَا تَدْخُلُ قَافِلَةُ تِجَارَتِهِ إِلى المَدِينَةِ، وهِيَ مُحَمَّلَـةٌ بِالبَضَـائِعِ، تُحْدِثُ ضَجَّةً عَالِيَةً؛ لِعِظَمِهَا، ولِكَثْرَةِ مَا تَحْمِلُهُ.

وكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوفٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ تِجَارَةٌ أُخْرَى مَعَ اللَّـهِ، فَقَدْ كَانَ دَائِمَ البَذْلِ والْعَطَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ تَصَدَّقَ بِنِصْفِ مَالِهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

ورُوِيَ أَنَّهُ تَصَدَّقَ بِخَمسِمِئَةِ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وهَكَذَا يَكُونُ أَغْنِيَاءُ الْمُسْلِمِينَ: لاَ يَبْخَلُونَ عَنِ الإِنْفَـاقِ فِـي سَـبِيلِ اللَّهِ، وَلاَ يَرْضَوْنَ أَنْ يَبِيْتُوا فِي فُرُشِهِمُ الدَّافِئَـةِ، وإِخْـوَانُهُمْ مِـنَ الْفُقَـرَاءِ يَرْتَعِدُونَ مِنَ الْبَرْدِ، وصِغَارُهُمْ يَتَأَلَّمُونَ مِنَ الْجُوعِ.

العَفْوُ عَنِ الدَّيْنِ

يُحْكَى أنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما ـ كَانَ عِنْدَهُ بُسْتَانٌ، وَبَاعَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما ـ بِتِسْعِينَ أَلْفاً، فَلَمَّا أَخَذَ الثَّمَنَ، أَعْطَى نِصْفَهُ لِلنَّاسِ كَهَدَايَا وَهِبَاتٍ، ثُمَّ طَلَبَ مِنَ المُنَادِيْ أَنْ يُنَادِيَ فِي الْمَدِينَةِ بِأَنَّ مَنْ كَانَ مُحْتَاجاً إِلَى المالِ، ويُرِيدُ أَنْ يَقْتَرِضَ، فَلْيَذْهَبْ إِلَى قَيْسٍ لِيُقْرِضَهُ. فَجَاءَ نَاسٌ كَثِيرُونَ إِلَى قَيْسٍ، فَأَقْرَضَهُمْ جَمِيعاً، حتَّى نَفِدَ المَالُ، وكَانَ قَيْسٌ يَأْخُذُ على كُلِّ مُقْتَرِضٍ وَرَقَةً فِيهَا المَبْلَغُ الَّذِي اقْتَرَضَهُ (مِثْلُ الإِيْصَالِ).

وبَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ، مَرِضَ قَيْسٌ، فَلَمْ يَزُرْهُ إِلاَّ عَدَدٌ قَلِيلٌ مِنَ أَصْحَابِهِ. فَقَالَ لِزَوْجَتِهِ: لِمَ قَلَّ زُوَّارِيْ؟

فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهُمْ يَسْتَحْيُونَ مِنْ زِيَارَتِهِ؛ لِمَا لَهُ علَيهِمْ مِنْ دُيُونٍ.

فَأَحْضَرَ قَيسٌ الأَوْرَاقَ الَّتِي سَجَّلَ فِيهَا الدُّيُونَ الَّتِي علَى النَّاسِ، وأَرْسَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ الوَرَقَةَ الَّتِي فِيهَا دَيْنُهُ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ، وشَكَرُوا لِقَيْسٍ كَرَمَهُ وَجُوْدَهُ.

ولَمْ تَمُرَّ سَاعَاتٌ حتى كَثُرَ الزُّوَّارُ، وامْتَلأَ بِهِمْ بَيْتُ قَيْسٍ.

وَهَكَذَا كَانَ قَيْسٌ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ يُقْرِضُ الْمُحْتَاجَ، ويَقضِي عَنِ الْفُقَرَاءِ دُيُونَهُمْ، وكَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مَالاً وفِعَالاً، فَإِنَّهُ لاَ يَصْلُحُ الْفِعَالُ إِلاَّ بِالْمَالِ».

* * * * *

الْمَالُ والدَّارُ لَكُمْ

يُرْوَى أَنَّهُ كَانَ لِرَجُلٍ صَالِحٍ بَيْتٌ جَمِيلٌ يَعِيشُ فِيهِ مَعَ زَوْجَتِهِ وَأَولادِهِ، تُرَفْرِفُ علَيهِمُ السَّعَادَةُ، ويُحِيطُهُمُ الأَمْنُ، وَفِي إِحْدَى السِّنِينَ، وَاجَهَتْهُ أَزْمَةٌ مَالِيَّةٌ، فَقَرَّرَ أَنْ يَبِيعَ دَارَهُ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ واشْتَرَاهَا مِنْهُ، ودَفَعَ لَهُ ثَمَنَهَا.

وتَسَلَّمَ الْمُشْتَرِيْ الدَّارَ، وسَكَنَ فِيهَا مَعَ أَهْلِه، فَلَمَّا أَتَى اللَّيْلُ سَمِعَ بُكَاءً. فَسَأَلَ أَهْلَهُ: مَا هَؤُلاءِ؟ فَقَالُوا: إِنَّهُمْ أَهْلُ الرَّجُلِ الذِي بَاعَ لَنَا الدَّارَ.

فَسَأَلَ الرَّجُلُ: ولِمَاذَا يَبْكُونَ؟

فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُمْ يَبْكُونَ حُزْناً على دَارِهِمُ الَّتِي اشْتَرَيْنَاهَا مِنْهُمْ!!

وكَانَ هَذَا الْمُشْتَرِيْ تَقِيًّا كَرِيماً، فَرَقَّ قَلْبُهُ لِحَالِ أَهْلِ البَائِعِ، فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يَذْهَبَ إِليهِمْ ويُخْبِرَهُمْ بِأَنَّ المَالَ والدَّار لَهُمْ جَمِيعاً.

يا قَوْمِ.. أَسْلِمُوا

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَوَاداً كَرِيماً، يُعْطِيْ الجَمِيعَ فِي سَخَاءٍ، وكَانَ لا يَرُدُّ أَحَدًا إِذَا طَلَبَ مِنْهُ شَيئاً، وَقَدْ دَخَلَ بَعْضُ النَّاسِ فِي الإِسْلامِ، طَمَعاً فِي كَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ورَغْبَةً فِي عَطَائِه، وبَعْدَ أَنْ تَنْشَرِحَ صُدُورُهُم للإِيمَانِ، وتَمْتَلِئُ قُلُوبُهُمْ بِنُورِ الإِسْلامِ، يَكُونُ اللَّهُ ورَسُولُهُ أَحَبَّ إِليهِمْ مِنْ أَمْوَالِ الدُّنْيَا.

وقَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَطِيعٌ مِنَ الأَغْنَامِ، فرَآهُ رَجُلٌ وهُوَ يَرْعَى

بَينَ جَبَلَيْنِ فَأعْجَبَهُ، فَذَهَبَ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وطَلَبَ مِنْهُ أنْ يُعْطِيَهِ لَهُ، فَلَمْ يَتَرَدَّدْ ﷺ وأعْطَاهُ لَهُ.

فَأخَذَ الرَّجُلُ القَطِيعَ وهُوَ مَسْرُورٌ، وذَهَبَ إلى قَومِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ، أسْلِمُوا، فَوَاللَّهِ إنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لاَ يَخَافُ الفَقْرَ.

وفِي ذَلِكَ قَالَ أنَسُ بْنُ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ : إنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إلاَّ الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الإسْلاَمَ أحَبَّ إليهِ مِنَ الدُّنْيَا ومَا عليهَا. [مُسْلِمٌ].

الصَّدِيقُ المَدِيْنُ

ذَهَبَ رَجُلٌ إلى بَيْتِ صَدِيقٍ لَهُ، وَقَالَ لَهُ: لَقَدْ أتَيْتُ لأَطْلُبَ مِنْكَ شَيْئاً، فَقَالَ الصَّدِيقُ: مَا حَاجَتُكَ؟ فَقَالَ لَهُ: إنَّ عَلَيَّ دَيْنًا، وقَدْ حَانَ أَوَانُ تَسْدِيدِهِ، وَأُرِيدُ أنْ أُسَدِّدَهُ.

فَقَامَ صَدِيقُهُ، وأَحْضَرَ المَالَ الَّذِي طَلَبَهُ وزِيَادَةً. فَأَخَذَ الرَّجُلُ المَالَ، وانْصَرَفَ وهُوَ شَاكِرٌ وسَعِيدٌ.

وجَلَسَ الصَّدِيقُ حَزِيناً، وبَكَى بِشِدَّةٍ، فَظَنَّتِ الزَّوجَةُ أنَّهُ يَبْكِي حُزْناً على المَالِ الَّذِي أَخَذَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَتْ لَهُ: لَقَدْ كَانَ فِي وُسْعِكَ أنْ تَعْتَذِرَ لِصَدِيقِكَ، وَلاَ تُعْطِيَهِ مَالاً.. بَدَلاً مِنْ أنْ تَبْكِيَ حُزْناً علَى مَا أَعْطَيْتَهُ مِنْ مَالٍ، لأنَّكَ تَعْلَمُ أنَّنَا لاَ نَمْلِكُ مَا يَكْفِينَا.

فَقَالَ الزَّوْجُ: إنَّنِي أبْكِي لأنِّي لَمْ أَسْأَلْ صَاحِبِي مِنْ قَبْلُ عَنْ حَالِهِ، وتَرَكْتُهُ حتَّى تَكَاثَرَتِ الدُّيُونُ عليهِ، واسْتَدَانَ مِنْ غَيرِي، ثُمَّ هَا هُوَ ذَا يَحْتَاجُ مَالاً لِيسُدَّ دَيْنَهُ، وَيَطْلُبُ مِنِّي أنْ أُقْرِضَهُ، وكَانَ علَيَّ أنْ أتَعَرَّفَ علَى أَحْوَالِهِ، وَأُبَادِرَ أنَا وَأُعْطِيَهُ قَبْلَ أنْ يَسْأَلَنِي.

كَرَمٌ فِي الْخَفَاءِ

اسْتَيقَظَ فُقَرَاءُ مَدِينَةِ بَغْـدَادَ فِـي الصَّـبَاحِ، وخَرَجُـوا مِـنْ بُيُوتِهِمْ لِلسَّعْيِ وَرَاءَ أَرْزَاقِهِمْ وَقُوْتِ أَولادِهِم، فَوَجَـدُوا عَلَـى أعْتَـابِ بُيُـوتِهِمْ أكْيَاسـاً مَمْلُـوءَةً بِالـدَّنَانِيرِ، فأَخَـذُوهَا وَهُـمْ يَتَعَجَّبُونَ وَيَتَساءَلُونَ: مِنْ أينَ جَاءَتْ؟ ومَنِ الَّذِي أرْسَلَهَا؟

وفِيمَا بَعْـدُ عَـرَفَ النَّـاسُ أنَّ الفَضْـلَ بْـنَ يَحْيَـى الـوَزِيرَ العَبَاسِيَّ هُوَ الذِي أمَرَ غِلْمَانَـهُ بِـأَنْ يَحْمِلُـوا أكْيَـاسَ الـدَّنَانِيرِ وَيَضَعُوهَا أمَامَ بُيُوتِ الفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ مِنْ أهْـلِ الْمَدِينَـةِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ فِي السِّرِّ حتَّى لا يَرَاهُمْ أَحَدٌ، فَيَكُـونَ عَمَلُهُ خَالِصاً لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى.

وكَانَ الْفَضْلُ شَدِيدَ الكَرَمِ، يُنْفِـقُ بِسَـخَاءٍ حتَّـى بَلَـغَ مَـا أنْفَقَهُ فِي لَيلَةٍ وَاحِدَةٍ مِئَةَ أَلْـفِ دِينَـارٍ. وكَـانَ إِذَا جَـاءَ الشِّـتَاءُ تَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَا فِي خِزَانَتِهِ مِـنْ كِسْـوَةِ الصَّـيْفِ، وَإِذَا جَـاءَ الصَّيْفُ تَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَا فِي خِزَانَتِهِ مِنْ كِسْوَةِ الشِّتَاءِ، فَأَحَبَّـهُ النَّاسُ لِكَرَمِهِ حُبّاً شَدِيداً.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

اللَّهُ أكْرَمُ

سَأَلَ مُوسَى ـ عليهِ السَّلامُ ـ رَبَّهُ عَنْ أَدْنَى أهْلِ الْجَنَّةِ، وأَقَلِّهِمْ مَنْزِلَةً.

فَقَالَ اللَّه ـ عَزَّ وجَلَّ ـ :« هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَمَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ: رَبِّ كَيفَ وقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخْذَاتِهم؟! فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أنْ يَكُونَ لَكَ مِثلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ.

فَيَقُولُ لَهُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الخَامِسَةِ: رَضِيْتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِه، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ. فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ».

ثُمَّ سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ عَنْ أَعلَى النَّاسِ مَنْزِلَةٍ فِي الْجَنَّةِ.

فَقَالَ اللَّهُ ــ عَزَّ وجَلَّ ـ :«أُولَئِكَ الَذِينَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِيْ، وخَتَمْتُ عَلَيهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، ولَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطِرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ». (أي: هُؤلاءِ الَّذِينَ اصْطَفَيْتُهُمْ واخْتَرْتُهُم، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَيُّ بَشَرٍ تَصَوُّرَ مَدَى مَا أكْرَمْتُهُمْ بِهِ وَأَعْدَدْتُهُ لَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي الْجَنَّةِ). [مُسلِمٌ].

* * * * *

سِبَاقٌ إلى الخَيْرِ

كَانَ الصَّحابَةُ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهم ـ يَتَسَابَقُونَ فِي فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وكَانَ أبُو بَكْرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ أسْبَقَهُمْ إلى ذَلِك.

وفِي مَرَّةٍ، أمَرَ الرَّسُولُ ﷺ أصْحَابَهُ أنْ يَتَصَدَّقُوا، فَسَارَعُوا جَمِيعاً إلى تَنْفِيذِ أمْرِهُ ﷺ.

فَذَهَبَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ وأحْضَرَ نِصْفَ مَالِه، وهُوَ يَحْسَبُ أنَّهُ قَدْ جَاءَ بَأكْثَرَ مِمَّا سَيَجِيءُ بِهِ أبُو بَكْرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ ، وقَالَ فِي نَفْسِه: اليوْمَ أسْبِقُ أبَا بَكْرٍ.

فَلَمَّا أعْطَى الرَّسُولَ ﷺ الْمَالَ قَالَ لَهُ ﷺ: «مَا أبْقَيْتَ لأهْلِكَ؟».

فَقَالَ عُمَرُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ : مِثلَهُ.

ومَا هِيَ إلاَّ لَحَظَاتٌ حتَّى جَاءَ أبُو بَكْرٍ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ وهُوَ يَحْمِلُ كُلَّ أمْوَالِهُ، وأعْطَاهَا الرَّسُولَ ﷺ. فَقَالَ لَهُ ﷺ: «يَا أبَا بَكْرٍ، مَا أبْقَيْتَ لأهْلِكَ؟»، قَالَ: أبْقَيتُ لَهُمُ اللَّهَ ورَسُولَهُ.

عِنْدَئذٍ قَالَ عُمَرُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ : وَاللَّهِ لاَ أسْبِقُهُ إلَى شَيْءٍ أبَداً. (يَقْصِدُ أنَّ أبَا بَكْرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ مَا سَابَقَ أحَداً إلى خَيرٍ إلاَّ سَبَقَهُ).

obeikandl.com

كَرَمُ ذِيْ النُّورَيْنِ

كَانَ ذُو النُّورَيْنِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ دَائِمَ البَذْلِ والعَطَاءِ؛ فَسِيرَتُهُ تَمْتَلِئُ بِمَوَاقِفِ الكَرَمِ والْجُوْدِ.

عنْدمَا هَاجَرَ الرَّسُولُ ﷺ إلى الْمَدِينَة، وجَدَ النَّاسَ يَشْرَبُونَ مِنْ بِئرٍ تُسَمَّى بِئْرُ رُومَةَ، وكَانَتْ (رُومَةَ) أفْضَلَ آبَارِ الْمَدِينَة، وكَانَ مَالِكُ البِئْرِ لاَ يَتْرُكُ النَّاسَ يَشْرَبُونَ مِنْهَا إلاَّ إذَا دَفَعُوا الثَّمَنَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّـه ﷺ: «مَنْ يَشْتَرِي بِئرَ رُومَةَ، فيَجْعَلُ دَلْوَهُ مَعَ دِلاءِ الْمُسْلِمينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهُ فِي الْجَنَّة».

فَسَارَعَ عُثْمَانُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ واشْتَرَى البِئرَ، ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهَا علَى الفَقِيرِ والغَنِيِّ وابْنِ السَّبِيلِ؛ يَشْرَبُونَ مِنْهَا بِلاَ مُقَابِلٍ.

ومَرَّةً أُخْرَى، لاَحَظَ ﷺ أنَّ عَدَدَ الْمُصَلِّينَ قَدْ زَادَ، وأنَّ الْمَسْجِدَ قَدْ أصْبَحَ ضَيِّقاً، فَقَالَ ﷺ لأصْحَابِه: «مَنْ يَشْتَرِيْ بُقْعَةَ آلِ فُلانٍ (يَقْصِدُ الأَرْضَ الْمُجَاوِرَةَ للمَسْجِد) فَيَزِيْدَهَا فِي الْمَسْجِدِ بِخَيْرٍ مِنْهَا فِي الْجَنَّة؟». فَسَارَعَ عُثْمَانُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ واشْتَرَاهَا.

وعِنْدَمَا أرَادَ الرَّسُولُ ﷺ الْخُرُوجَ لِغَزْوَةِ تَبُوْكَ، كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَمُرُّونَ حِينَئِذٍ بِأيَّامِ فَقْرٍ وَضِيْقٍ وَعُسْرٍ، ولَمْ يَجِدْ ﷺ مَا يُجَهِّزُ بِهِ الْجَيْشَ، لِذَلِكَ سُمِّيَ هَذَا الْجَيْشُ بِجَيشِ العُسْرَةِ، فَنَادَى ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ جَيشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ». فَسَارَعَ عُثْمَانُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ وَجَهَّزَ الجَيشَ مِنْ مَالِهِ.

وَشَبِعَ الصِّغَارُ

فِي لَيلَةٍ شَدِيدَةِ الْبرُودَةِ، حَالِكَةِ الظَّلامِ، جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى حَاتِمٍ الطَّائِيِّ، وكَانَ حَاتِمٌ مَضْرِبَ الْمَثَلِ فِي الْجُوْدِ والكَرَمِ.

فَقَالَتْ لَهُ: جِئتُ إليكَ مِنْ عِنْدِ أَوْلادِي، وَهُمْ يَصِيحُونَ وَيَبْكُونَ مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ، فَهَلْ أَجِدُ عِنْدَكَ مِنَ الطَّعَامِ مَا يَسُدُّ جُوعَهُمْ؟

فَقَالَ لَهَا: واللَّهِ لأُشْبِعَنَّهُمْ.

وَلَمْ يَكُنْ حَاتِمٌ يَمْلِكُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ شَيئاً سِوَى فَرَسِهِ، وكَان يُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيداً.

فَقَامَ بِسُرْعَةٍ إِلى فَرَسِهِ وَذَبَحَهُ. ثُمَّ أوقَدَ عليهِ النَّارَ حتَّى نَضَجَ. ثُمَّ أعْطَاهَا اللَّحْمَ، فَأكَلَتْ وَأكَلَ أَولادُهَا حتَّى شَبِعُوا جَمِيعاً.

حَقًّا لَقَدْ كَانَ حَاتِمٌ الطَّائِيُّ رَجُلاً كَرِيماً سَخِيًّا.

* * * * *

obeikandl.com

نَخْلَةُ الْجَنَّةِ

كَانَ أحَدُ الصَّحَابَةِ يَمْتَلِكُ بُسْتَاناً، وكَانَ فِي هَذَا الْبُسْتَانِ نَخْلَةٌ يَمْلِكُهَا رَجُلٌ آخَرُ.

وَذَاتَ يَومٍ، ذَهَبَ الصَّحَابِيُّ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وطَلَبَ مِنْهُ أنْ يَتَوَسَّطَ لَهُ عِنْدَ صَاحِبِ النَّخْلَةِ لِيتَنَازَلَ لَهُ عَنْهَا.

فَأرْسَلَ ﷺ للرَّجُلِ، وقَالَ لَهُ: «أعْطِهِ إيَّاهَا بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ» فَرَفَضَ الرَّجُلُ.

فَلَمَّا عَلِمَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أبُو الدَّحْدَاحِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ بِمَا حَدَثَ، ذَهَبَ إلى صَاحِبِ النَّخْلَةِ وعَرَضَ عليه أنْ يَشْتَرِيَ النَّخْلَةَ، علَى أنْ يُعْطِيَهُ بُسْتَانَهُ ثَمَناً لَهَا. فَوَافَقَ الرَّجُلُ؛ لأنَّهُ سَيَأخُذُ بُسْتَانَ أَبِي الدَّحْدَاحِ كُلَّهُ مُقَابِلَ نَخْلَةٍ واحِدَةٍ!!

وذَهَبَ أبُو الدَّحْدَاحِ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وأخْبَرَهُ أنَّهُ اشْتَرَى النَّخْلَةَ، وأنَّهُ قَدْ وَهَبَهَا لَهُ لِيعْطِيَهَا لِصَاحِبِ البُسْتَانِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَمْ مِنْ عِذْقٍ رَدَّاحٍ لأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ» (أي مَا أكْثَرَ النَّخْلَ العَظِيمَ الذِي أعَدَّهُ اللَّهُ لأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ؛ مُكَافَأةً لَهُ علَى مَا فَعَلَ).

وعَادَ أبُو الدَّحْدَاحِ إلى بُسْتَانه ـ وكَانَ يَسْكُنُ فِيهِ مَعَ امْرَأتِهِ وأَولادِهِ ـ ونَادَى زَوجَتَهُ: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ، اُخْرُجِي مِنَ البُسْتَانِ، فَإنِّي قَدْ بِعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَتِ الزَّوجَةُ الْمُؤمِنَةُ: رَبِحَ البَيْعُ.

ونَفَدَتِ الدَّرَاهِمُ

ذَاتَ يَومٍ .. أرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيرِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ إلى خَالَتِه السَّيِّدَةِ عَائشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها ـ مِئةَ ألف درْهَمٍ. فَوَضَعَتِ السَّيِّدَةُ عَائشَةُ ـ ـ الْمَالَ فِي طَبَقٍ، وأخَذَتْ تُوَزِّعُهُ على الْفُقَرَاءِ، حتَّى فَرَغَ الطَّبَقُ مِنَ المَالِ تَمَاماً، ولَمْ تُبْقِ فِي بَيتِهَا دِرْهَماً واحِداً.

وكَانَتِ السَّيِّدَةُ عَائشَةُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها ـ صَائِمَةً فِي ذَلِكَ اليَوْمِ، فَلَمَّا حَانَ وَقْتُ الإفْطَارِ، قَالَتْ لِخَادِمَتِهَا: «هَاتِ فُطُورِي».

فَلَمْ تَجِدِ الخَادِمَةُ شَيْئاً تُقَدِّمُهُ لأُمِّ الْمُؤمِنِينَ إلاَّ الْخُبْزَ والزَّيْتَ، فَقَالَتْ: يَا أُمَّ الْمُؤمِنِينَ! أَمَا اسْتَطَعْتِ أَنْ تُبْقِيْ لَنَا دِرْهَمًا نَشْتَرِيْ بِه لَحْماً؟! فَقَالَتْ أُمُّ الْمُؤمِنِينَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها ـ: «لَو ذَكَّرْتِينِي لَفَعَلْتُ».

وهَكَذَا أكْرَمَتِ السَّيِّدَةُ عَائشَةُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها ـ غَيْرَهَا ونَسِيَتْ نَفْسَهَا.

* * * * *

كَرَمٌ عَظِيمٌ

ذَاتَ يَومٍ، خَرَجَ صَدِيقَانِ فِي سَفَرٍ لَهُمَا، وبَينَمَا كَانَا يَسِيرَانِ فِي الصَّحرَاءِ، هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، وتَلَبَّدَتِ السَّمَاءُ بِالغُيُومِ، وسَقَطَ الْمَطَرُ بِغَزَارَةٍ.

فَأَخَذَا يَبْحَثَانِ عَنْ مَكَانٍ يَستَظِلانِ بِهِ حتَّى يَهْدَأَ الْمَطَرُ، فَوَجَدَا خَيمَةً فِيهَا امْرَأَةٌ، فَاسْتَأْذَنَا مِنْهَا أَنْ يَنْتَظِرَا عِنْدَهَا حتَّى يَهْدَأَ الْمَطَرُ، فأَذِنَتْ لَهُمَا.

وعِنْدَمَا عَادَ زَوجُهَا مِنَ الخَارِجِ قَالَتْ لَهُ زَوجَتُهُ: لَقَدْ نَزَلَ بِنَا ضَيْفَانِ، فَقَامَ الرَّجُلُ ورَحَّبَ بِهِمَا، ثُمَّ جَاءَ بِنَاقَةٍ وذَبَحَهَا، وَأَعدَّهَا لَهُمَا، فَلَمْ يَأْكُلاَ مِنْهَا إِلاَّ القَلِيلَ.

وفِي اليَومِ الثَّانِيْ ذَبَحَ لَهُمَا ذَبِيحَةً أُخْرَى، فَقَالا لَهُ: مَا أَكَلْنَا مِنَ الَّتِي نَحَرْتَ البَارِحَةَ إِلاَّ القَلِيلَ.

فَقَالَ لَهُمَا: إِنِّي لا أُطْعِمُ ضُيُوفِي مِنَ الطَّعَامِ البَائِتِ.

وظَلَّتِ السَّمَاءُ تُمْطِرُ أَيَّاماً، والرَّجُلُ يَذْبَحُ لَهُمَا ذَبِيحَةً كُلَّ يَومٍ.

وعِنْدَمَا هَدَأَتِ الرِّيَاحُ، وتَوَقَّفَ الْمَطَرُ، أَخَذَ الصَّدِيقَانِ يَسْتَعِدَّانِ للرَّحِيلِ، وقَبْلَ أَنْ يَرْحَلا تَرَكَا فِي الْخَيْمَةِ مِئَةَ دِينَارٍ كَمُكَافَأَةٍ للرَّجُلِ، ولَمْ يَكُنْ مَوجُودًا فِي الْخَيمَةِ حِينَئِذٍ.

وقَالاَ لِزَوجَتِهِ: اعْتَذِرِي لَنَا عِنْدَ زَوْجِكِ عِنْدَمَا يَرْجِعُ.

وعِنْدَمَا عَادَ الرَّجُلُ أخْبَرَتْهُ زَوجَتُهُ بِمَا حَدَثَ، فَغَضِبَ غَضَباً شَدِيداً، وَأَخَذَ الدَّنَانِيرَ، ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ، وانْطَلَقَ وراءَهُمَا.

وبَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ، لَحِقَ بِهِمَا فِي الطَّرِيقِ، وخَاطَبَهُمَا بِحِدَّةٍ وغَضَبٍ، فَلَمَّا اسْتَفْسَرَا عَنِ السَّبَبِ، أَلْقَى إليهِمَا بِكِيسِ الدَّنَانِيرِ، وقَالَ: خُذُوهَا وَإِلاَّ طعَنْتُكُمَا بِرُمْحِي هَذَا. ثُمَّ أخْبَرَهُمَا أَنَّهُ لاَ يَأخُذُ ثَمَنَ ضِيَافَةِ أحَدٍ. فَأخذَ الصَّدِيقَانِ الدَّنَانِيرَ، وهُمَا سَعِيدَانِ بِهَذَا الْمَوقِفِ الكَرِيمِ.

قِصَصٌ فِي الكَرَمِ

الكَرَمُ خُلُقٌ نَبِيلٌ، وَصِفَةٌ طَيِّبَةٌ، اتَّصَفَ بِهِ الأَنْبِياءُ وَالرُّسُلُ، وَعُرِفَ بِهِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ بَينَ قَومِهِ؛ كمَا عُرِفَ بِهِ الصَّحابةُ والتَّابعينَ.

وَالكَرَمُ مِنْ أَهَمِّ صِفَاتِ الْمُؤمِنِ الحَقِّ، وَهُوَ شِعَارُهُ على الْدَّوَامِ، فَالْمُسْلِمُ كَرِيمٌ لاَ يتَّصِفُ بِالبُخْلِ أَوِ الشُّحِّ.

وَالكَرَمُ صِفَةٌ يُحِبُّهَا اللهُ سُبحانَهُ، قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إنَّ اللهَ تعَالَى كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلاَقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»[الطَّبَرانيُّ].

وَالكَرَمُ طَرِيقٌ إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِلَى الْفَوزِ بِرِضَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْدُّنْيا والآخِرَةِ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «السَّخَاءُ شَجَرَةٌ مِنْ أَشْجارِ الجنَّةِ، أَغصَانُها مُتَدَلِّيَاتٌ فِي الدُّنيَا، فمَنْ أَخَذَ بِغُصْنٍ منهَا قَادَهُ ذَلكَ الغُصْنُ إِلَى الْجنَّةِ. وَالبُخْلُ شَجَرَةٌ مِنْ أَشْجَارِ النَّارِ، أَغصَانُهَا مُتَدَلِّيَاتٌ فِي الدُّنيَا، فَمَنْ أَخَذَ بِغُصْنٍ منهَا قَادَهُ ذَلكَ الغُصْنُ إِلَى النَّارِ» [البَيْهقيُّ].

وَهَذِهِ الْقِصَصُ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنِ الكَرَمِ وَالكُرَماءِ، تُعَلِّمُنَا الالْتِزَامَ بالكَرَمِ، وَاجْتِنَابَ الشُّحِّ وَالبُخْلِ.